

أطول كذبة في التاريخ

علي الصراف
كاتب عراقي



منذ نيفيل تشامبرلين، أو منذ مطلع الحرب العالمية الثانية إلى يومنا هذا، حكم المحافظون بريطانيا 12 مرة، بينما لم يحكم العمال إلا 6 مرات. ولو أنك استقنيت البمين في حزب العمال، فسوف تجد أن يسار هذا الحزب لم تقم له قائمة منذ مايلك فوت الذي لم يحكم من الأساس. حتى أصبح من المألوف ألا تتاح لهذا الحزب الفرصة في السلطة إلا إذا تولى قيادته تاتشيري أكثر من مارغريت تاتشيري. وهذا ما فعله توني بلير.



عادة ما يكون هناك فائز وخاسر في كل انتخابات، ولكن الفائز الدائم، هو الـ"بي. بي. سي". إنها اليوم التي ستظل تتعق في الخراب الأخلاقي لأطول كذبة في التاريخ

لا يعني ذلك أن المجتمع البريطاني يميني ومحافظ إلى هذا الحد. كما لا يعني أنه لم يتغير منذ قرن من الزمان، بل لأن هناك مؤسسة "توجيه" منحت لنفسها الحق في أن يجري تمويلها من المجتمع لكي تمارس غطرستها عليه، وتفرض مفاهيمها الخاصة، وتحتكر الحقيقة الخدعة الكبرى هي أن مؤسسة الـ"بي. بي. سي"، تمارس عملها "على أسس الحياد". وهذه مجرد كذبة. وبالنظر إلى عمر هذه المؤسسة، التي بدأت عملها في 14 نوفمبر عام 1922، فإنها أطول كذبة في التاريخ.

تضم هذه المؤسسة آلاف الموظفين، وتبث بلغات مختلفة، وتمتلك العشرات من محطات الراديو والتلفزيون، ويتابعها نحو 230 مليون إنسان في نحو 100 دولة في العالم، وتبلغ ميزانيتها السنوية 4 مليارات جنيه إسترليني، لأن كل منزل في بريطانيا يدفع ضرائب لصالحها تبلغ 140 جنيهًا سنويًا. ولقد قامت هذه المؤسسة، بما أنها ممولة شعبياً، على مبدأ الحياد. ولكنها لم ترتكب جريمة أكبر من ذلك أيضاً. فحيادها المزعوم كان، بحد ذاته، عملاً من أعمال الخيانة والخداع تجاه ملايين الناس.

ولو جاز أن نُختصر قصة "الحياد" تلك، فإنها ذلك السبيل الذي يتبع لكل طرف من أطراف السياسة أن يدلي بقوله على نحو متساو. حتى أن هناك من يحسب الوقت بالثواني للمساحة المتاحة للمتنافسين. ولكن "الحياد" يمكنه أن يوضع في أي سياق. وهذا ما لا يجعله حياداً على الإطلاق. وهيئة حكام الـ"بي. بي. سي" هي التي تحدد السياقات. كما أنها وحدها التي تملك الحق في تحديد مستوى وطبيعة التغطية. كما أنها وحدها التي تحدد "الرئيسي" من الأخبار، الزاوية التي يؤخذ بها، أو الجانب المرغوب فيه من الحقيقة. وهذه ليست مجرد تفاصيل مهنية. إنها تفاصيل سياسية وخيارات دون سواها. مما يجعل الحياد مجرد أسطورة. عندما نشأت قناة "الجزيرة"، بوصفها "فسيلة" من فساتل هذه الأسطورة، باستعارة مجموعة من موظفي الـ"بي. بي. سي"، فقد سمعت إلى تكرار النموذج. صحيح أنه تحول إلى مهزلة، إلا أنه نقل حرفياً تقريباً الأسلوب نفسه. ما يستطیع أن يراه المشاهد العربي مثلاً هو أن "الجزيرة"، إذا أرادت أن تتهاجم السعودية، فإنها تستدعي

ضيفاً شرساً للهجوم عليها، وآخر ضعيفاً للدفاع. وبطبيعة الحال، فإنها تترك لهما "حرية" الكلام، وقد تعطيهما وقتاً متساوياً أيضاً. النتيجة هراء طبعاً. ولكنه هراء مقصود بحد ذاته. فسياسة السلوك غير الأخلاقي هذه إنما أخذت من شجرة الـ"بي. بي. سي". وقد نجحت لبعض الوقت قبل أن تتكشف المهزلة على سلوك سياسي وقبح وقبيح. سوى أن الـ"بي. بي. سي" توظفه لخدمة غايات يمينية من ناحية، وصهيونية من ناحية أخرى. حتى أنها تكاد تكون أكبر مؤسسة إعلامية إسرائيلية في الخارج. وفي الواقع فقد كان يجب تمويلها من الكنيست الإسرائيلي وليس من جيوب البريطانيين. على الأقل لأنها موجودة لتنتقد صورة إسرائيل، وتدافع عنها، مهما ارتكبت من جرائم.

في عام 2009 عندما شنت إسرائيل حرباً شعواء ضد قطاع غزة، أسفرت عن مئات القتلى والآلاف الجرحى، توجهت مجموعة مؤلفة من 13 منظمة دولية للإغاثة، ببناء إنساني من أجل إغاثة المواطنين هناك. إلا أن الـ"بي. بي. سي" رفضت إذاعته، زاعمة أن ذلك سوف "يقوّض الحياد الذي يميز تغطياتها". الوقوف على الحياد حيال جريمة ضد الإنسانية، ليس حياداً. إنه انحياز بشع. بل إنه شراكة مكشوفة في الجريمة نفسها. تحديد السياقات، صناعة قائمة بذاتها. يمكنك، إذا كنت صحافياً منحازاً، أن تضع أي حقيقة في سياق مختلف، فتظهر على عكس ما تنقص. يكفي، في عالم الصحافة المقروعة، أن تضع صورة تناسب تصور المنحاز، لكي تقلب معنى القول الذي تحتها. سوف يظل بوسعك أن تزعم أنك محايد، وأنك قمت بنقل وجهة النظر الأخرى، من دون أن تقول عنها أي شيء. ولكنك بالنتيجة قلبت الانطباع عنها. أكثر من ذلك، فإن مقداراً عالياً من الغطرسة يسمح للـ"بي. بي. سي" بأن



على أسس "الحياد" المخادع، كانت الـ"بي. بي. سي" هي أكبر جهاز دعابة لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي. لم تفعل شيئاً سوى أنها لم تسمح بإداعة الحقيقة كلها عن التكاليف الاقتصادية الحقيقية لهذا المشروع الكارثي، ولا قدمت على نحو متساو دفاعات الشخصيات الكبرى، بمن فيها حاكم المصرف المركزي، التي رأت أن البلاد تتجه نحو الهاوية. ولكن الهاوية، التي صار يوسعها أن تهدد وحدة البلاد، أهون بكثير على هذه المؤسسة الصهيونية، من أن يحكم البلاد يساري مثل كوربين يهدد صورة إسرائيل، وبالأغلبية التي حققها المحافظون، فقد بات بوسع بوريس جونسون أن يمارس مخادعته وشعبويته الرخيصة لعشر سنوات أخرى، ولو على حطام البيت. عادة ما يكون هناك فائز وخاسر في كل انتخابات، ولكن الفائز الدائم هو الـ"بي. بي. سي". إنها اليوم التي ستظل تتعق في الخراب الأخلاقي لأطول كذبة في التاريخ.

والتعليم والترفيه"، بينما هو يقصد التوجيه والتوجيه والتوجيه. يوم الجمعة 13 ديسمبر 2019 سيظل يوماً تاريخياً على أي حال. صحا البريطانيون على ما يشبه الماتم الجماعي. الصمت حل في الشوارع. وبدا الاكتئاب والقلق عامين. فقد فاز بوريس جونسون بأغلبية ساحقة في الانتخابات، ليبقى حزب المحافظين في السلطة، على أساس من برنامج دجل وخذاع ونفاق صريح. وفي المقابل، فقد حصد حزب العمال بقيادة جريمي كوربين هزيمة متكررة. الحركة الصهيونية كلها نهضت ضد كوربين. وانهضت معها الـ"بي. بي. سي"، لتنتقم من انتقاداته لإسرائيل. قدم حزب العمال برنامجاً للإصلاح الاقتصادي والاجتماعي، يصب مباشرة في صالح ملايين العمال والطلاب والفقراء والطبقة الوسطى، ويضرب بمقدار قليل الأثرياء وكبرى الشركات، بنسب ضرائب أعلى من الراهن، ولكن أقل مما فرضته مارغريت تاتشيري. فكان الماتم صارخاً.

تعيد تعريف الخبر كما تشاء. وكل ما تفعله إنما يتم تحت حياض تم وضعه في سياق غير محايد. هناك برنامج يدعى "قيد بان" يتم بثه على قناة الراديو الرابعة، يتلقى الشكاوى والإسئلة من الناس الذين غالباً ما يحتجون على مستوى وطبيعة التغطيات أو يثيرون شكوكاً واعتراضات حولها. وفي العادة يستضيف البرنامج واحداً من كبار محرري الـ"بي. بي. سي" للرد والإجابة. ولكن لم يحصل أن اعترف أي واحد من هؤلاء بان التغطية لم تكن محايدة، أو أنها أخطأت في مقاربتها للخبر. وكلما ضاقت بأحدهم الحيل، فإن الخيار الأول الذي يلجأ إليه هو إعادة تعريف الخبر، والنظر إلى الحياد بمقدار من التجرد الحسابي، ولكن من دون النظر إلى السياق الذي وُضع فيه. السياق هو الصنعة الخفية التي لا يمكن لأي أحد أن يراها، ممن انتهوا إلى أن يكونوا ضحية لبرنامج يميني وصهيوني متواصل على امتداد قرن من الزمان، وظل يزعم أن غايته هي "الإخبار

قاسم سليمانى.. حتمية الرحيل عن العراق

د. ماجد السامرائي
كاتب عراقي



تواصلت الحملة الإيرانية لسحق انتفاضة أكتوبر العراقية لما يشكله استمرارها من تقريب موعد نهاية النظام السياسي في بغداد، وكان قتل الشباب واختطافهم هو الخيار الوحيد الذي نفذته الميليشيات الموالية ل طهران. كانت حصيلة الضحايا الموثقة التي أعلنت أخيراً 473 شهيداً ونحو 22 ألف جريح منهم نحو 3900 معاق ونحو 12 مخطوفاً غير معلوم المصير. بعد مرور 75 يوماً على الانتفاضة هل استطاعت مؤامرة قاسم سليمانى الانتصار على العراقيين؟ الجواب كلا، فقد تضاعفت شدة الاعتصامات وتعمقت شعاراتها حيث أصبح لها برنامج واضح المعالم لرسم مستقبل العراق بعد تخليصه من زمر القتل والفساد. ولهذا تضاعفت أساليب قمع الانتفاضة ما بين القتل المستمر والاختطافات ومحاولات اختراق

جبهة المعتصمين خصوصاً في بغداد بعد فشل عمليتي الناصرية والنجف، وانحياز العشرات العربية في محافظات الجنوب إلى جانب أنبائهم المنتفضين، كما فشلت آخر حلقة من حلقات إثارة الفتنة داخل ساحات الاعتصام ببغداد بافتعال مسرحية قتل وتعليق جثة قاتل المتظاهرين لإعطاء انطباع يسيء إلى سمعة شباب الانتفاضة وسلميتهم. لم يتوقف سليمانى عن تنفيذ برنامجه الدموي وسط رعب وقلق يسيطران على أعلامه ببغداد بعد أن تصاعد الاستنكار العالمي من منظمات حقوق الإنسان، ثم إفصاح مجلس الأمن عن موقفه الذي تأخر كثيراً عن مطالبة الحكام في العراق بالتوقف عن تنفيذ مسلسل القمع الوحشي، إلى جانب الموقف الأميركي الذي يربط إدانته بالهزيمة الإيرانية على مقدرات العراق، رغم أن الأميركيان هم الذين جاعوا بهذا النموذج المتخلف والراث من السياسيين إلى الحكم. شعارات الانتفاضة وبرنامجه السياسي وصلت رسالتها إلى سلطة

الحكم وإلى مدير شؤونها سليمانى عبر البيانات المتواصلة، وتحققت منه الخطوة الأولى في إقالة رئيس الوزراء عادل عبدالمهدي وسط مطالبات شعبية بمحاكمته وطاقمه العسكري والأمني المسؤول على الضحايا من شباب العراق، مع الإصرار على تنفيذ حزمة الخطوات للتغيير الشامل. من صفحات مؤامرة قاسم سليمانى القيام بحملة إعلامية مكثفة تستهدف تشويه سمعة الانتفاضة وشبابها عبر فضائيات الأحزاب وجيلوش الأحزاب والميليشيات الإلكترونية، ومن خلال بعض الشخصيات الهامشية التي لعبت لسنوات على تناقضات العملية السياسية ومازقتها الطائفي وتظاهر البعض من هذه الشخصيات بلباقة خطابية تعلموها من أوليائهم وتقمصوا دور المعارضة مستغلين الفراغ وعدم وجود معارضة علنية ضد الحكم بسبب القمع. لكن الوظيفة الحقيقية لتلك المعارضة المغضوحة هي المتاجرة الرخيصة، وهؤلاء لم ينفصلوا عن ولائهم العقائدي الإسلامي لطهران،



ليس من السهولة استسلام المنظومة التنفيذية للمشروع الإيراني في العراق، ولدى سليمانى أوراقاً أخرى لمنع انتفاضة شعب العراق من تحقيق أهدافها، رغم أن غالبية أوراها احترقت

ولم تكن ليبرالية حقيقية إلا في سياقات تلك التجارة، لكن بعض هؤلاء اضطروا أخيراً إلى إزاحة القناع عن وجوههم بعد وصول الصراع بين مشروعى استقلال العراق وتبعيته لإيران إلى درجة حاسمة. فنزل خطاب هؤلاء الهامشين إلى استخدام اللغة التي ينتمون إليها، وهي اللغة الضحلة في التطاول على شباب العراق الثوار. من ملامح هذه الحملة الغبية أيضاً استغلال مفصل تنظيمي يتعلق بعدم وجود قيادة تنظيمية للانتفاضة تدبر فعاليتها الإعلامية والسياسية، ومن بينها مسألة الحوار مع الخصم السياسي المتمثل بقيادة الأحزاب الحاكمة ومن يقف خلفهم. وقد يكون هذا النقص التنظيمي له مبرراته اللوجستية وحاجات أية ثورة تقارع أخطر مؤسسة للقمع والفساد في العصر الحديث ذاق منها شعب العراق من القتل والاختطاف والتدمير والتهجير ما تشيب له الرؤوس، ومن بين تلك الهواجس التوجس من عمليات الاختراق أو التصفيات الجسدية أو عمليات التسقيط السياسي وزرع الفتنة بين كوادرات الانتفاضة. ويبدو أن عدم وجود قيادة علنية له محاسنه في إرباك الخصوم. المازق السياسي مستمر في عدم قدرة سليمانى على إيجاد رئيس وزراء بديل لعبدالمهدي أمام إصرار الانتفاضة على ترشيح رئيس وزراء بالمواصفات الشعبية ولا دور للأحزاب في ترشيحه، لكن القضية في نظر سليمانى ليست في الاختيار وإنما تكمن في خشيته

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدرّاه التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة يعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

